سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - ١٤

الإمام المهدي عليه السلام

١٤٣١

قدوة وأسوة

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

الإمام المهدي عليه السلام

قدوة وأسوة

سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - ١٤

الإمام المهدي عليه السلام

١٤٣١

قدوة وأسوة

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

محفوظة
جميع الحقوق

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

هوية الكتاب:

* **الكتاب:** الإمام المهدي عليه السلام قدوة وأسوة.
* **المؤلف:** المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
* **الطبعة:** الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* **الناشر:** مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).
دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار،
ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٣

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾

تمهيد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الهداة الميامين، وعلى أصحابه المنتجبين وعلى عباد الله الصالحين.

لم تكن المشاكل الفلسفية ترفاً فكريًا، أو اسرافاً في المثالية، بل إن أغلبها تمس صميم واقع البشر؛ لأنها تحاول معرفة العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين الكون المحيط به.

وأولئك الذين حاولوا تجريد الفلسفة عن هذا البحث الهام، أفقدوها مبرر وجودها وحكمة انتشارها بين الناس واهتمامهم بها.

والحديث عن الإمام الغائب «حجة الله على خلقه» والسبب الموصل بين الله والإنسان، وحبل الله المتين، يهدف -فيما يهدف- الكشف عن جوانب هامة من هذه الصلة المباشرة بين خالق السماوات والأرض وبين الإنسان!!.

إذ تتجسد هذه الصلة في إنسان كامل لا يختلف في بشريته عن غيره، إلَّا أنه حجة الله، الذي تجلَّت فيه رسالات الله، وصاغته بشراً كاملاً، ليكون قدوةً وإماماً.

ولأن اخترعت البشرية التائهة أبطالاً باسم الجندي المجهول وفي صورة (سوبرمان) وأبطال وهميين، فإن يد العناية الإلهية صاغت إنساناً

من لحم ودم ولكنه كان رمز كل فضيلة، ودليل كل سمو، وليكون حجة الله على الإنسان لكيلا يبرر تقاعسه عن بلوغ المقام المحمود بضعفه البشري.

وها نحن في رحاب هذا الإمام العظيم، وإني أرجو من أولئك الذين لا يؤمنون به أن يفكروا في الأمر من جديد لئلا يمنعوا عن أنفسهم خيراً كثيراً.

والكتاب الذي بين أيدينا، مساهمة بسيطة جدًّا في هذا المضمار. وكنت قد ألفته قبل حوالي عشرين عاماً. ولقد جددت النظر في بعض فصوله وأقدمه اليوم للقراء عسى الله أن ينفعني به يوم الحساب.

الفصل الأول

الأَصْلُ الكَرِيمُ

من هو الإمام المهدي؟

والده عليه السلام:

الإمام الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أمّه عليها السلام:

وصيفة تركية انحدرت من سلالة طيبة تتصل بأوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام، واسمها نرجس أو (صيقل)، وكانت قد أسلمت وهي في بلادها بسبب رؤيا شاهدتها، وعندما زحفت طلائع الجيش الإسلامي على بلادها سلّمت لهم ليأتي بها القدر إلى بيت الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتصبح والدة حجة الله.

ميلاده عليه السلام:

في ليلة النصف من شعبان من عام (٢٥٥) للهجرة، وفي مدينة سامراء عاصمة الخلافة في عهد المعتصم العباسي، وُلِدَ الإمام الحجة عليه السلام.

وكان لولادته شواهد دلّت على ما قدّر الله لهذا المولود السعيد من أثر في حياة البشرية.

دعنا نستمع إلى السيدة حكيمة بنت الإمام محمد بن علي الجواد وعمة الإمام الحسن تقصُّ علينا عن ولادة الحجة قالت: «بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: **«يَا عَمَّةُ اجْعَلِي إِفْطَارَكِ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا، فَإِنَّهَا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُظْهِرُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْحُجَّةَ وَهُوَ حُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ.**

قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ أُمُّهُ؟

قَالَ لِي: **نَرْجِسُ.**

قُلْتُ لَهُ: وَاللهِ -جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكَ- مَا بِهَا أَثَرٌ.

فَقَالَ: **هُوَ مَا أَقُولُ لَكِ.**

قَالَتْ: فَجِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ جَاءَتْ تَنْزِعُ خُفِّي وَقَالَتْ لِي: يَا سَيِّدَتِي كَيْفَ أَمْسَيْتِ؟ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتِ سَيِّدَتِي وَسَيِّدَةُ أَهْلِي، قَالَتْ: فَأَنْكَرَتْ قَوْلِي وَقَالَتْ: مَا هَذَا يَا عَمَّةُ؟! قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَهَبُ لَكِ فِي لَيْلَتِكِ هَذِهِ غُلَاماً سَيِّداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَتْ: فَجَلَسَتْ وَاسْتَحْيَتْ، فَلَمَّا أَنْ فَرَغْتُ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَأَفْطَرْتُ وَأَخَذْتُ مَضْجَعِي فَرَقَدْتُ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ فَفَرَغْتُ مِنْ صَلَاتِي وَهِيَ نَائِمَةٌ لَيْسَ بِهَا حَادِثٌ، ثُمَّ جَلَسْتُ مُعَقِّبَةً، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَزِعَةً وَهِيَ رَاقِدَةٌ، ثُمَّ قَامَتْ: فَصَلَّتْ. قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَدَخَلَتْنِي الشُّكُوكُ، فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ: «**لَا تَعْجَلِي يَا عَمَّةُ! فَإِنَّ الْأَمْرَ قَدْ قَرُبَ**». قَالَتْ:

فَقَرَأْتُ (الم السَّجْدَة ويس)، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ انْتَبَهَتْ فَزِعَةً، فَوَثَبْتُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ: اسْمُ الله عَلَيْكَ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: تَحَسَّسِينَ شَيْئاً؟ قَالَتْ: نَعَمْ يَا عَمَّةُ، فَقُلْتُ لَهَا: اجْمَعِي نَفْسَكِ وَاجْمَعِي قَلْبَكِ فَهُوَ مَا قُلْتُ لَكِ، قَالَتْ حَكِيمَةُ: ثُمَّ أَخَذَتْنِي فَتْرَةٌ[1] وَأَخَذَتْهَا فِطْرَةٌ[2]، فَانْتَبَهْتُ بِحِسِّ سَيِّدِي عليه السلام، فَكَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ عليه السلام سَاجِداً يَتَلَقَّى الْأَرْضَ بِمَسَاجِدِهِ، فَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَإِذَا أَنَا بِهِ نَظِيفٌ مُنَظَّفٌ، فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: «**هَلُمِّي إِلَيَّ ابْنِي يَا عَمَّةُ**» فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ تَحْتَ أَلْيَتَيْهِ وَظَهْرِهِ وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ أَدْلَى لِسَانَهُ فِي فِيهِ وَأَمَرَّ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمْعِهِ وَمَفَاصِلِهِ»[3].

وبعدما ولد أجرى له والده الإمام الحسن عليه السلام مراسيم الولادة بما يلي تفصيله:

تصدق عنه عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً، وعقَ عنه بذبح ثلاثمائة شاة بعثها حية من يومه إلى بني هاشم والشيعة. ثم بعث إلى الخاصة من أصحابه يخبرهم بولادته وأنه الوصي من بعده ويأمرهم بكتمان ذلك عن كل أحد، فقد أُثِرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْحَاقَ الْقُمِّيِّ قَالَ: «لَمَّا وُلِدَ الْخَلَفُ الصَّالِحُ عليه السلام وَرَدَ مِنْ مَوْلَانَا أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَلَى جَدِّي أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ كِتَابٌ، وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ بِخَطِّ يَدِهِ عليه السلام الَّذِي كَانَ يَرِدُ بِهِ التَّوْقِيعَاتُ عَلَيْهِ:

«**وُلِدَ الْمَوْلُودُ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ مَسْتُوراً وَعَنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْتُوماً، فَإِنَّا**

(١) أي استولى عليَّ التراخي.
(٢) فطرة: أي الولادة.
(٣) كمال الدين، ج ٢، ص ٩٩ - ١٣٨ - ١٠٨.

لَمْ نُظْهِرْ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقْرَبَ لِقَرَابَتِهِ وَالْمَوْلَى لِوَلَايَتِهِ، أَحْبَبْنَا إِعْلَامَكَ لِيَسُرَّكَ اللهُ بِهِ كَمَا سَرَّنَا، وَالسَّلَام»[1].

وروي عن إبراهيم صاحب الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «وَجَّهَ إِلَيَّ مَوْلَايَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام بِأَرْبَعَةِ أَكْبُشٍ وَكَتَبَ إِلَيَّ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

عُقَّ هَذِهِ عَنِ ابْنِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ، وَكُلْ هَنَأَكَ، وَأَطْعِمْ مَنْ وَجَدْتَ مِنْ شِيعَتِنَا»[2].

كتمان أمر الإمام:

وهكذا تمت ولادة الإمام الذي بقي محاطاً بستار كثيف من الكتمان بسبب الظروف السياسية المعاصرة. ولم يُبدِ الإمام العسكري عليه السلام أمر نجله إلّا لخواص أصحابه، فقد جاء في الحديث المأثور عن كتاب الغيبة، عن جماعة من أصحاب الإمام أنهم قالوا:

«اجْتَمَعْنَا إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام نَسْأَلُهُ عَنِ الْحُجَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفِي مَجْلِسِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، فَقَامَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْعَمْرِيُّ فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ! أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرٍ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ يَا عُثْمَانُ، فَقَامَ مُغْضَباً لِيَخْرُجَ، فَقَالَ: لَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَّا أَحَدٌ إِلَى [أَنْ] كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ فَصَاحَ عليه السلام بِعُثْمَانَ فَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ فَقَالَ: أُخْبِرُكُمْ بِمَا جِئْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، قَالَ: جِئْتُمْ تَسْأَلُونِّي عَنِ الْحُجَّةِ مِنْ بَعْدِي، قَالُوا: نَعَمْ فَإِذَا غُلَامٌ كَأَنَّهُ

(١) كمال الدين، ج ٢، ص ٩٩ - ١٣٨ - ١٠٨.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢ - ٣.

قِطَعُ قَمَرٍ أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام، فَقَالَ: هَذَا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ أَطِيعُوهُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي فَتَهْلِكُوا فِي أَدْيَانِكُمْ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكُمْ هَذَا حَتَّى يَتِمَّ لَهُ عُمُرٌ، فَاقْبَلُوا مِنْ عُثْمَانَ مَا يَقُولُهُ وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ وَاقْبَلُوا قَوْلَهُ، فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ».

كيف بدأ عهد إمامة الحجة؟

وكعادة الخلفاء العباسيين إذا وجدوا فرصة لقتل أولياء الله بادروا بدسّ السُّمّ إليهم.

اغتال المعتصم العباسي الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالسُّم، فأخذ يفتش عن نجله ليقضي عليه ويقطع دابر الإمامة الإسلامية في زعمه، فأرسل إلى بيت الإمام ليحتجز ما فيه ومن فيه.

دعنا نستمع خبر ذلك عن لسان أحمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ابن وزير المعتصم الذي قال:

«لَمَّا اعْتَلَّ (الإمامُ الحسنُ العسكري عليه السلام) بَعَثَ إِلَيَّ أَبِي أَنَّ ابْنَ الرِّضَا قَدِ اعْتَلَّ، فَرَكِبَ مِنْ سَاعَتِهِ مُبَادِراً إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ رَجَعَ مُسْتَعْجِلاً وَمَعَهُ خَمْسَةُ نَفَرٍ مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كُلُّهُمْ مِنْ ثِقَاتِهِ وَخَاصَّتِهِ، فَمِنْهُمْ نِحْرِيرٌ، وَأَمَرَهُمْ بِلُزُومِ دَارِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَعَرُّفِ خَبَرِهِ وَحَالِهِ، وَبَعَثَ إِلَى نَفَرٍ مِنَ الْمُتَطَبِّبِينَ فَأَمَرَهُمْ بِالاخْتِلَافِ إِلَيْهِ وَتَعَاهُدِهِ فِي صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ جَاءَهُ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ، فَرَكِبَ حَتَّى بَكَّرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُتَطَبِّبِينَ بِلُزُومِهِ، وَبَعَثَ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ فَأَحْضَرَهُ مَجْلِسَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَشَرَةً مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَوَرَعِهِ فَأَحْضَرَهُمْ، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى دَارِ الْحَسَنِ عليه السلام وَأَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ

لَيْلًا وَنَهاراً.

فَلَمْ يَزَالُوا هُنَاكَ حَتَّى تُوُفِّيَ لِأَيَّام مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، فَصَارَتْ سُرَّ مَنْ رَأَى ضَجَّةً وَاحِدَةً: «مَاتَ ابْنُ الرِّضَا».

وَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَى دَارِهِ مَنْ يُفَتِّشُهَا وَيُفَتِّشُ حُجَرَهَا، وَخَتَمَ عَلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا، وَطَلَبُوا أَثَرَ وَلَدِهِ، وَجَاؤُوا بِنِسَاءٍ يَعْرِفْنَ الْحَبَلَ فَدَخَلْنَ عَلَى جَوَارِيهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِنَّ فَذَكَرَ بَعْضُهُنَّ أَنَّ هُنَاكَ جَارِيَةً بِهَا حَبَلٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَجُعِلَتْ فِي حُجْرَةٍ وَوُكِّلَ بِهَا نِحْرِيرٌ الْخَادِمُ وَأَصْحَابُهُ وَنِسْوَةٌ مَعَهُمْ».

ثم قال: «وَلَمْ يَزَلِ الَّذِينَ وُكِّلُوا بِحِفْظِ الْجَارِيَةِ الَّتِي تَوَهَّمُوا عَلَيْهِ الْحَبَلَ مُلَازِمِينَ لَهَا سَنَتَيْنِ وَأَكْثَرَ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُمْ بُطْلَانُ الْحَبَلِ، فَقُسِمَ مِيرَاثُهُ بَيْنَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ جَعْفَرٍ، وَادَّعَتْ أُمُّهُ وَصِيَّتَهُ وَثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَ الْقَاضِي، وَالسُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ يَطْلُبُ أَثَرَ وَلَدِهِ».

ثم ذكر قصة مناوأة جعفر على الوصايا حتى قال: «وَخَرَجْنَا -وَالْأَمْرُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ- وَالسُّلْطَانُ يَطْلُبُ أَثَرَ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام حَتَّى الْيَوْمِ»[1].

وهكذا حاولت السلطة الجاهلية المستكبرة في الأرض أن تقتلع جذور الإمامة، وتقضي على الحركة الرسالية الأصيلة، فلم تفلح؛ لأن يد الله فوق أيديهم.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

(١) كمال الدين، ج ١، ص ١٢٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

اللّه أعلم حيث يجعل رسالته:

وكان للإمام الحجة عمّ يُدعى بجعفر زعم أن له حق الإمامة من بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام، فأخذ يدعو الناس إلى نفسه، بل ويتوسل إلى السلطات الظالمة ليستمد منها الدعم دون أن يعلم أن مبرر استمرار خط الإمامة هو مقاومة هذه السلطات، وقيادة الجماهير المؤمنة ضد فسادها وانحرافها.

أما جعفر ابن الإمام علي الهادي عليه السلام فإنه كان يفقد المؤهلات الكافية للإمامة؛ ولأنه كان يعرف أن الطائفة لا تعترف به، فقد جاء إلى عبد الله بن يحيى بن خاقان -وهو وزير الخليفة العباسي- يسعى من أجل دعم مركزه.

ابن الوزير يروي قصة ذلك فيما يلي:

«فَجَاءَ جَعْفَرٌ -بَعْدَ قِسْمَةِ الْمِيرَاثِ- إِلَى أَبِي وَقَالَ لَهُ: اجْعَلْ لِي مَرْتَبَةَ أَبِي وَأَخِي وَأُوصِلُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمَة.

فَزَبَرَهُ أَبِي وَأَسْمَعَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا أَحْمَقُ! إِنَّ السُّلْطَانَ أَعَزَّهُ اللهُ (!) جَرَّدَ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ فِي الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاكَ وَأَخَاكَ أَئِمَّةٌ لِيَرُدَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ صَرْفُهُمْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ فِيهِمَا، وَجَهَدَ أَنْ يُزِيلَ أَبَاكَ وَأَخَاكَ عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَإِنْ كُنْتَ عِنْدَ شِيعَةِ أَبِيكَ وَأَخِيكَ إِمَاماً فَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى سُلْطَانٍ يُرَتِّبُكَ مَرَاتِبَهُمْ وَلَا غَيْرِ سُلْطَانٍ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لَمْ تَنَلْهَا بِهَا».

وما لبث جعفر أن تراجع عن هذه الدعوة الكاذبة، وعاد إلى رشده في التسليم لإمامة الحجة عليه السلام، ولذلك سُمِّي عند الطائفة بجعفر التواب بعد أن كان يُسَمَّى بجعفر الكذاب.

الغيبة الصغرى:

بعد أن بيّن الأئمة الهداة عليهم السلام عبر قرنين ونصف من عمر الرسالة بعد الرسول صلى الله عليه وآله معالم الدين، وبعد أن احتمل خيرة أبناء الأمة علم الأنبياء عليهم السلام عبر أوصيائهم المعصومين، وترسخت جذور المعرفة الإلهية في نفوس الألوف، وبعد أن تهيّأ التيار الرسالي للنهوض بأعباء الثورة ضد الظلم والطغيان، والوقوف أمام الانحرافات الأساسية في الدين.

بعد كل ذلك قَدَّرَ اللهُ الغيبة الصغرى لولي الله الأعظم، الحجّة بن الحسن عليه السلام التي امتدت من عام (٢٦٠) إلى عام (٣٢٩)، أقام الإمام خلالها جسراً من الوكلاء بينه وبين أبناء الطائفة.

ونُوّاب الإمام هم:

١- أبو عمرو عثمان بن سعيد، الذي كان وكيلاً للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وبعد وفاته أصبح نائباً للإمام الحجة عجل الله فرجه.

٢- وبعد وفاته عام (٢٦٦) نصَّب الإمام الحجة ابنه أبا جعفر محمد بن عثمان ليصبح نائباً للإمام خلال خمسين عاماً.

٣- أما النائب الذي استخلفه محمد بن عثمان فقد كان حسين بن روح، ومنذ عام (٣٠٤) وعبر اثنين وعشرين عاماً كان مرجعاً عاماً للطائفة من قبل الإمام الحجة عليه السلام.

٤- وبعد أن لبّى حسين بن روح نداء ربه، عيّن الإمام أبا الحسن علي بن محمد السمري نائباً عنه، وبقي في منصبه ثلاث سنوات، ولما اقترب من أجله سُئِل عمّن ينوبه فأخبر بانتهاء الغيبة الصغرى بوفاته.

وفي سِنيِّ الغيبة الصغرى كان يمارس فقهاء الإسلام الأربعة العظام دور القيادة نيابة عن الإمام، ولعلها كانت كافية لتربية الأمة على أسس اختيار قادتها من بين أقرب الفقهاء إلى مثال النواب الأربعة في عصر الغيبة الكبرى، حيث كان من المفروض أن تستقل الأمة بانتخاب قادتها من الفقهاء العدول الراسخين في علم أهل البيت، والزاهدين في درجات الدنيا، والمجسّدين لتعاليم الرسالة.

ولعل حكمة ذلك كانت تَدَرُّجُ الصلة الإلهية من الوحي إلى الوصاية والنيابة الخاصة ثم النيابة العامة، فلقد كان عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عصر الوحي الذي كان شاهداً في كل قضية، وبعد أن أكمل تبليغ الرسالة عَهِدَ إلى الأئمة الهدة أمر تفسير المتشابه من آيات القرآن، أما المحكم فكان على الناس أنفسهم الرجوع إليه مباشرة، وهذه خطوة متقدمة في مسيرة التعامل مع الوحي.

وفي عصر الوصاية تَفَقَّهَ الكثير من المسلمين العلماء حتى أرجع الأئمة إلى بعضهم أمر الفُتيا، وبعد ذلك جاء عصر النيابة الخاصة حيث كان على المسلمين مراجعة الإمام الحجة من خلال نوابه وليس بصورة مباشرة كما كان في عصر الوصاية.

أما الآن، وفي عصر النيابة العامة، فإن على المسلمين أن يُراجعوا الفقهاء العدول الذين يتعرفون على صلاحيتهم وفق المقاييس العامة التي بيّنها هم الأئمة.

وبالرغم من أن صلة حجة الله بأولياء الله مستمرة بصورة أو بأخرى إلا أن ذلك لا يدخل ضمن إطار الأحكام الظاهرية، حيث لا يمكن لأحد أن يَدَّعي أنه النائب الخاص للإمام، بل لا يمكنه أن يَدَّعي

ارتباطه المباشر بالإمام، فإذا فعل ذلك فإن على المسلمين أن يُكَذِّبُوه رأساً. ولولا هذا التدرج لكانت الأمة تُصاب بكارثة حقيقية.

شمائل وصفات الإمام:

لقد تم وصف الإمام بدقة من قبل النبي ﷺ والأئمة الهداة، ولعله كان لحكمة بالغة، هي ردع كل من تُسَوِّلُ له نفسه بادِّعاء المهدوية، بعد أن أصبحت قضية ظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان من ضرورات الدين، وبما أنه من المستحيل أن تجتمع كل تلك الصفات التي ذكرتها النصوص الإسلامية في شخص مُدَّعٍ للمهدوية مما يكشف كذبه للناس.

١- قال النبي ﷺ: «**المَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنف**»(١).

«**المَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي وَجْهُهُ كَالْقَمَرِ الدُّرِّيِّ. اللَّوْنُ لَوْنٌ عَرَبِيٌّ، وَالْجِسْمُ جِسْمٌ إِسْرَائِيلِي**»(٢).

«**وَجْهُهُ كَالدِّينَارِ، وَأَسْنَانُهُ كَالْمِنْشَارِ، وَسَيْفُهُ كَحَرِيقِ النَّارِ**»(٣).

٢- وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَبْيَضُ مُشْرَبٌ حُمْرَةً، مُبْدَحُ الْبَطْنِ، عَرِيضُ الْفَخِذَيْنِ، عَظِيمٌ مُشَاشُ الْمَنْكِبَيْنِ، بِظَهْرِهِ شَامَتَانِ: شَامَةٌ عَلَى لَوْنِ جِلْدِهِ، وَشَامَةٌ عَلَى شِبْهِ شَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ، لَهُ اسْمَانِ: اسْمٌ يَخْفَى وَاسْمٌ يَعْلُنُ، فَأَمَّا الَّذِي يَخْفَى فَأَحْمَدُ، وَأَمَّا الَّذِي يَعْلُنُ فَمُحَمَّدٌ، فَإِذَا هَزَّ رَايَتَهُ أَضَاءَ لَهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**

(١) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣٦٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٥١، ص٩١.
(٣) بحار الأنوار، ج٥١، ص٧٦.

وَالمَغْرِبِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا صَارَ قَلْبُهُ أَشَدَّ مِنْ زُبَرِ الحَدِيدِ، وَأَعْطَاهُ اللهُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، وَلَا يَبْقَى مَيِّتٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْفَرْحَةُ فِي قَلْبِهِ وَفِي قَبْرِهِ، وَهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَتَبَاشَرُونَ بِقِيَامِ الْقَائِمِ عليه السلام»[1].

«هُوَ أَوْسَعُكُمْ كَهْفاً، وَأَكْثَرُكُمْ عِلْماً وَأَوْصَلُكُمْ رَحِماً»[2].

«يُومِئُ لِلطَّيْرِ فَيَسْقُطُ عَلَى يَدِهِ، وَيَغْرِسُ قَضِيباً فِي الأَرْضِ فَيَخْضَرُّ وَيُوْرِقُ»[3].

٣- وقال الإمام الحسين عليه السلام: «تَعْرِفُونَ المَهْدِيَّ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، وَمَعْرِفَتُهُ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَبِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ»[4].

٤- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ بِالْقَائِمِ عَلَامَتَانِ: شَامَةٌ فِي رَأْسِهِ وَ دَاءُ الحَزَازِ بِرَأْسِهِ، وَشَامَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ، تَحْتَ كَتِفَيْهِ وَرَقَةٌ مِثْلُ وَرَقَةِ الْآسِ»[5].

٥- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حَسَنُ الوَجْهِ، أَدِمُ، أَسْمَرُ، مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ»[6].

«أَزَجُّ، أَبْلَجُ أَدْعَجُ، أَعْيَنُ، أَشَمُّ الأَنْفِ، أَقْنَى، أَجْلَى»[7].

(١) بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٥١، ص١١٥.
(٣) منتخب الأثر، ص١٥٤.
(٤) كتاب الغيبة، للنعماني، ص١٢٧.
(٥) بحار الأنوار، ج٥١، ص٤١.
(٦) الإرشاد، ص٣٤٢.
(٧) الملاحم والفتن، ص٥٨.

«وَهُوَ خَاشِعٌ كَخُشُوْعِ الزُّجَاجَةِ»[1].

٦- قال الإمام الرضا عليه السلام: «هو شَبِيهِي وَشَبِيهُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام، عَلَيْهِ جُيُوبُ النُّورِ تَتَوَقَّدُ بِشُعَاعِ ضِيَاءِ الْقُدْسِ، مَوْصُوْفٌ بِاعْتِدَالِ الخَلْقِ، وَنَضَارَةِ اللَّوْنِ، يُشْبِهُ رَسُوْلَ الله فِيْ الخلق»[2].

«عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ شَيْخَ السِّنِّ شَابَّ المَنْظَرِ حَتَّى إِنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهِ لَيَحْسَبُهُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ دُونَهَا وَإِنَّ مِنْ عَلَامَتِهِ أَلَّا يَهْرَمَ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَجَلُهُ»[3].

(١) الملاحم والفتن، ص٥٨.
(٢) منتخب الأثر، ص٤٢٢.
(٣) منتخب الأثر، ص٢٨٦.

الفصل الثّاني

الإمامُ الحجةُ.. الأَمَلُ المُنتَظَرُ

انتظار الفرج أو الأمل الثائر:

هنالك سنن إلهية تجري على أساسها حياة المجتمعات كالسنن الإلهية التي تتقلب فيها حياة الأفراد.

ومن أبرز هذه السنن انتصار الحق ودحر الباطل ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1].

إن سفينة الحياة ترسو بالتالي على شاطئ رحمة الله، لأن رحمته قد سبقت غضبه، ولأن الله إنما خلق الناس ليرحمهم، وسبحانه الذي لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب.

يقول ربنا سبحانه وهو يُذكِّرنا بهذه السنة التي لو تأملنا في تاريخ البشر، وفي ظواهر الحياة؛ لرأينا آثارها بوضوح تام: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[2].

فما دامت السماوات والأرض قد خُلقت بالحق، وعلى أساس

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

الحق فإن سلطان الحق وحاكميته وسيادته سوف يكون متوافقاً مع مسيرة الكون، ونتيجة تكامل حوادثه بإذن الله.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1].

إن هذه الحقيقة التي أكَّدتها رسالات الله ليست محدودة بقوم، ولا محصورة بوراثة الصالحين قطعةً محدودةً من الأرض، بل هي بيان لسنة إلهية عامَّة تتحقق في ثورات الصالحين ضد الطغاة، وتتحقق بصورة تامَّة في وراثة الصالحين لكل الأرض. والدليل على ذلك:

أولاً: أن الأرض جاءت مُحَلَّاة بالألف واللام؛ مما يدل على أن المراد بها كل الأرض.

ثانياً: أن تأكيد القرآن أن هذه حقيقة مكتوبة في أكثر من كتاب سماوي لا يدعنا نشك في أنها تشير إلى سنّة إلهية يسوق الله أحداث الحياة وفقها حتى تتحقق بصورة كلية.

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[2].

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

إن تجارب البشرية قد دلَّت على أن المسيرة الطبيعية للنظم الحاكمة

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة القَصَص، الآية: ٥ - ٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

في الأرض لن تصل بها إلى تلك التطلعات السامية التي انطوت عليها نفوس البشر من تحقيق مدينة فاضلة تسودها العدالة، ويحكم في أرجائها الحق بلا شريك.

إذن كيف ومتى يتحقق هذا الطموح الفطري المشروع. هل يمكن أن يتكامل البشر بصورة عادية إلى أن يبلغ هذا المستوى الأرفع؟!

إن ترسانات الأسلحة الذرية والكيمياوية، ومؤامرات المستكبرين ضد مستضعفي الأرض، وتقهقر البشرية الواضح في ميادين الفضيلة والهدى، وتدهورها المرعب إلى حضيض الفساد والاعتداء؛ لدليل واحد وواضح على أن السبيل الوحيد إلى تحقيق أهداف الإنسان هي رحمة الله التي أخرجت الإنسان من الظلمات إلى النور.

وتلك الرحمة إنما هي في ظهور الحجة الأعظم -بقية الله الإمام الثاني عشر من أهل بيت خاتم الأنبياء، وقدوة الصديقين عليهم السلام -، والإيمان بهذه الحقيقة الصادقة يبعث في قلوب المؤمنين شعلة خالدة من الأمل، ذلك الأمل الذي يُعتبر وقود الإنسان في مسيرته التكاملية.

ذلك الأمل الإلهي الذي يختلف عن الأمنية بفارق السعي، الذي هو شرط ضروري لتحقيق الأمل الإلهي، في حين أن الأمنية تبرير للكسل والتقاعس.

ذلك الأمل الذي ينتشل المجاهدين من ظلام اليأس الذي يبعثه الشيطان في نفوسهم باستغلال ظروف الإرهاب والقلق والعجز المادي.

ذلك الأمل الذي ينعكس على نظرات الفرد ومواقفه، فتُصبغ بصبغة التفاؤل الإيجابي، ويُطارد روح التشاؤم والشك والسلبية

والانهزامية، التي تسعى أجهزة الطاغوت ووساوس الجبت أن تبثَّها في روح العاملين، وربما لهذه الحكمة جاء في الحديث النبوي الشريف: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَج»[1].

المهدي عليه السلام في النصوص الدينية:

إن ظهور عزير عليه السلام وعودة عيسى عليه السلام ورجعة بهرام في الديانات اليهودية والمسيحية والمجوسية سوف يتحقق جميعاً بظهور خاتم الأوصياء المهديين الإمام الحجة عجل الله فرجه.

وإن تفسير خمسين آية قرآنية، وعشرات الأحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله ومئات النصوص المروية عن آل البيت يتم بظهور الحجة عجل الله فرجه.

لقد تواترت أكثر من ستمائة وسبعةٍ وخمسين حديثاً في المهدي عليه السلام[2].

وقد رواها أعظم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وقد أُلِّفَ حول ظهور المهدي عجل الله فرجه علماء أهل السنّة أكثر من مائةٍ وأربعةٍ وأربعين كتاباً[3].

وادَّعى تواتر الحديث كثير من علماء المسلمين من مختلف المذاهب. ولسنا بحاجة إلى أن نناقش الديانات السماوية في شخص المهدي؛ لأننا لا نملك معهم أرضية مشتركة للحديث، بل لابد أن نناقش النظرية القائلة بأن المهدي سيولد في آخر الزمان ثم يظهر. ونظن أن عقدة المسألة تتمثل في قضية طول العمر التي تبقى مشكلة نفسية

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢٨.
(٢) تجد تفصيلاً لهذه الأحاديث في كتاب البحار، ج ٥١ - ٥٣، وفي كتاب منتخب الأثر، ص ٣١ - ٦٠.
(٣) ذكر أغلبها من كتب عن الإمام المهدي عليه السلام، فراجع في الكتب المختصة.

أمام الإيمان بحياة الإمام. إذاً، اسمحوا لنا ببحث قضية طول العمر أولاً، قبل مناقشة هذه النظرية.

قضية طول العمر:

إن ربنا سبحانه بمنّه القديم ورحمته الواسعة شاء أن يُتِمَّ الحجة على عباده بأن بعث إليهم رسله دون أن يترك الأرض من دون حجة قائمة.

وأمدّ الله في عمر خاتم الأوصياء إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكي يبقى السبب المتصل بين الأرض والسماء، فإذا انقطع الوحي فلا تنقطع الصلة الغيبية عبر ولي من أولياء الله.

وقدرة الله، التي نفذت في كل شيء والتي خلق بها السماوات والأرض، لا تعجزه سبحانه عن تطويل عمر الإنسان.

ونحن -بصفتنا مسلمين- نعتقد بأن الله أمدّ في عمر نوح عليه السلام ٩٥٠ عاماً بل أكثر، وأن عيسى وإدريس والعبد الصالح (خضر) أحياء؛ فكيف لا نؤمن بالعمر الطويل الذي عمَّره الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

ولكن دعنا نذكر فيما يلي نظر العلم الحديث في إمكانية طول عمر الإنسان، لعلمنا أن أمام بعض الناس مشكلة نفسية لا تدعهم يؤمنون بالإمام الغائب:

١- جاء في مجلة الهلال - الجزء الخامس من السنة الثامنة والثلاثين (ص ٦٠٧ مارس ١٩٣٠)- تحت عنوان: (كم يعيش الإنسان؟) ما يلي[1]:

(١) أوردنا قصته من كتاب (منتخب الأثر) ص ٧٧.

يعتقد بعض العامة وبعض الخاصة حتى من الأطباء أن مدى عمر الإنسان سبعون سنة على المتوسط -كما جاء في التوراة- وقَلَّ أن يُجاوز ذلك، وقد وقف رئيس مدرسة طبية ذات يوم خطيباً في تلاميذه فقال: إن الأدلة الباثولوجية تدل دلالة على أن أنسجة الجسم تبلى بعد مرور زمان ما، وأن هناك حدًّا محدوداً لعمر الإنسان.

فإذا صحَّ قول هذا المدبر فإن الأسباب الكثيرة التي تنشأ منها دورة العمر هي ثابتة غير متغيرة -دون متناول العلم-، ولنفترض أن منطقة (قنال بناما) المشهورة بالأمراض الكثيرة قُطِعَتْ عن سائر العالم، وكنا نحن فيها نجهل أحوال الحياة والموت في العالم -الذي وراءها- لكنا نقول: إن كثرة الوفيات في هذه المنطقة وقصر العمر أمور معينة بحكم الطبيعة، وأن التحكم فيها دون متناول العلم، فالفرق بين الأمرين هو في الشخص لا في النوع، فإن جهلنا لأسباب بعض الأمراض هو الذي يحول دون تقليل الوفيات وإطالة العمر -في العالم- ودورة العمر كما نسميها متغيرة قابلة لتأثير العلم فيها، والذي يعارضني في ذلك أسئلة: أي دورة من أدوار العلم هي ثابتة ؟

دورة العمر في الهند أم في نيوزلندا؟ أم في أمريكا أم في منطقة القنال؟ وأي الحِرَف نحترفها نقول عنها: إن دورة العمر فيها ثابتة طبيعية، أحِرفة الفلكي التي تكون الوفيات فيها من ١٥ إلى ٤٠ سنة تحت المتوسط؟ أم المحاماة التي تكون الوفيات فيها من ٥ سنوات إلى ١٥ سنة فوق المتوسط؟ أم تنظيف الشبابيك التي تكون الوفيات فيها من ٤٠ إلى ٦٠ سنة فوق المتوسط؟ هذه أمثلة على الفرق بين الوفيات في متوسط الوفيات بين بعض الحرف على ما فيها من إحصاءات بعض

شركات التأمين.

وهناك أدلة كثيرة على أن أدوار الحياة بين الأحياء، ومنها الإنسان، تغيَّرت تغيراً عظيماً بالوسائل الصناعية، وأن أدوار الحياة -في بعض الأحياء- تزيد كثيراً على ما للإنسان. فلماذا تعيش السلحفاة مائتي سنة والإنسان سبعين سنة؟ ولماذا تعيش الخلايا الداخلية في بعض الأحياء أربعمائة سنة وفي الأنسان أقل؟

وقد يقال جواباً عن هذا السؤال:

إن الإنسان يدفع بذلك عن عيشته الحضارية الراقية وتركيبه الراقي، فالشجرة المشار إليها -تمكث في بقعة واحدة- فتظهر فيها جميلة، ولكن أليس بين الرجال والنساء من لا يصنع أكثر مما تصنع الشجرة، وينال أجراً على ذلك؟!

وتجارب المختبرات البيولوجية ذات مغزى كبير؛ فقد استطاع بعض العلماء استنبات بعض الدعاميص -الضفدع الصغير- من أجسادها قبل أوان خروجها بتغيير مقدار الأوكسجين -في الوسط الموجودة فيه-، وهذا بمثابة تغيير جوهري في دورة حياة الدعاميص.

وكذلك تمكن آخرون من إطالة عمر ذبابة الأثمار (٩٠٠) ضعف عمرها الطبيعي بحمايتها من السم والعدوى وتخفيض حرارة الوسط الذي تعيش فيه.

وتمكن كارل بتجاربه من إبقاء الخلايا في قلب جنين دجاجة حيًّا مدة سبع عشرة سنة بصيانته عن بعض العوامل في المحيط الذي وضع فيه.

وإذا نظرنا إلى العوامل المتسلطة على دورة حياة الإنسان، وجدنا

أنه إذا أخذنا شيئاً من المادة المعروفة باسم (الرانث) والمستخرجة من غدة درقية عليلة، أمكننا إعادتها إلى حالتها الطبيعية بحقنها بخلاصة غدة صحيحة، وكثيراً ما أنقذ الشخص المشرف على الموت بحقنة بخلاصة الكبد على أثر اشتداد اصابته بأنيميا خبيثة وموته بها لا يختلف بمبدئه عن الموت بالشيخوخة، ويعاد المصاب بالسكر إلى حالته الطبيعية بحقنة بخلاصة البنكرياس.

وامتدت يد العلماء إلى أصل الجينات -وقد كان يظن أنه لا يمكن العبث بها-، فتمكنوا من تغيير جنس الضفادع والطيور من الذكور والإناث والعكس، ولم يُجرب ذلك بعدُ في الإنسان، ولكن مادام هذا المبدأ يؤيد في الحيوان فلا يمنع تأييده في الإنسان إلَّا جهلنا لأشياء لابد أن تبدو لنا في المستقبل.

٢- وقال الأستاذ (فورد نوف): قد عملت إلى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة، وأقول الآن عن اقتناع: إنه لا ينصرم القرن حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ، وإزالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغضون والأسارير، وأجنابهم المحدودبة الهزيلة، ويمكن أيضاً تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر الذي هو الآن سبعين سنة على الغالب، وسيبقى الدماغ والقلب صحيحين إلى الآخر، وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة، ونقل الجرائم وتخلق العبقريات، وتُفرَّغ الشخصيات في قوالب على حسب الطلب[1].

٣- العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إن جل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له، وإنه في الإمكان أن يبقى

(١) تفسير الجواهر، ج ٢٢٤، عن مجلة كل شيء. انظر المصدر المتقدم، ص ١٧٩.

الإنسان حيًّا ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته. وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان[1].

فقد تمكن أحد الجراحين من قطع جزء من حيوان وإبقائه حيًّا أكثر من السنين التي يحياها ذلك الحيوان عادة. أي صارت حياة ذلك الجزء مرتبطة بالغذاء الذي يقدم لها بعد السنين التي يحياها، فصار في الإمكان أن يعيش إلى الأبد مادام الغذاء اللازم موفوراً له.

وهذا الجراح هو (الكسيس كارل) من المشتغلين في معهد (روكفلر نيويورك)، وقد امتحن ذلك في قطعة من جنين الدجاج فبقيت تلك القطعة حية نامية أكثر من ثمان سنوات، وهو وغيره امتحنا قطعاً من أعضاء جسم الإنسان -من أعضائه وقلبه وجلده وكليته- فكانت تبقى حية نامية مادام الغذاء اللازم موفوراً لها، حتى قال الأستاذ (ديمند وبرل) من أساتذة جامعة جونز هو بكنز:

«إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان قد ثبت: أن خلودها بالقوة صار أمراً مثبتاً بالامتحان أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن».

إلى أن قال الدكتور كارل: شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير سنة ١٩١٢ م، ولقي عقبات كثيرة في سبيله فتغلب عليها هو ومساعدوه، فثبت له:

أولاً: أن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها، أما من قلة الغذاء أو من دخول بعض الميكروبات.

---

(١) نفس المصدر.

ثانيا: أنّ لا تأثير للزمن، أي أنها لا تشيخ وتضعف بمرور الزمن، بل لا يبدو عليها أقل أثر للشيخوخة، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين، وتدل الظواهر على أنها ستبقى حية نامية مادام الباحثون صابرين على مراقبتها، وتقديم الغذاء الكافي لها، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً، بل هي نتيجة.

لكن لماذا يموت الإنسان ولماذا نرى سنينه محدودة لا تتجاوز المائة إلا نادراً جدًّا وغايتها العادية سبعون أو ثمانون؟

الجواب:

إن أعضاء جسم الإنسان كثيرة ومختلفة، وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً حتى أن حياة بعضها تتوقف على حياة البعض الآخر، فإذا ضعف بعضها ومات لسبب من الأسباب مات بموته سائر الأعضاء. ناهيك بفتك الأمراض الميكروبية المختلفة، وهذا مما يجعل متوسط العمر أقل جدًّا من السبعين والثمانين. لا سيما أن كثيرين يموتون أطفالاً، وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة: أن الإنسان لا يموت لأن عمره كذا من السنين -سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر- بل لأن العوارض تنتاب بعض الأجزاء فتتلفها ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها، فإذا استطاع العلم أن يزيل بعض العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانع استمرار الحياة مئات من السنين، كما يحيا بعض أنواع الأشجار، وقلّ ما تنتظر العلوم الطبيعية والوسائل الصحية هذه الغاية القصوى، ولكن لا يبعد أن نهايتها تضاعف متوسط

العمر أو يزيد ضعفين أو ثلاثة[1].

٤- وأكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية:

«أن الإنسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة إذا ما خُدِّر مثل بعض الحيوانات طيلة فصل الشتاء»[2].

وهكذا يأتي قولنا بإمكان طول العمر مدة من الزمن بعيدة مؤيداً بالتجارب الحديثة. فهل نجد من الشك أي مانع عن قبول ذلك إذا عرفت أن الله يريد أن يبقيه كذلك، وإذا أراد شيئاً وفَّرَ له أسبابه الطبيعية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أَبَى اللهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِالْأَسْبَاب**»[3].

الدين وطول العمر:

هنا نبحث في الموضوع من جانب ديني بحت: إن من يعتقد بالدين من اليهود والنصارى والمسلمين، يؤمن بأن قدرة الله شاملة لكل الأمور ومنها مَدُّ عمر رجل يلزم أن يموت في السبعين فيزديه ألفاً، مثلاً.

وإن الاعتقاد بذلك ثابت لهم فعلاً، حيث إنهم لا يزالون يقبلون مبدئيًّا حياة كثيرين ممن تقدَّم تاريخ ميلادهم عن الإمام المهدي عجل الله فرجه مثل: خضر، إدريس، عيسى عليهم السلام. كما يعتقدون بأنهم سوف يبقون أحياء في المستقبل أيضاً، وكذلك تدل كتبهم الدينية على امتداد حياة

(١) المصدر السابق عن مجلة المقتطف -العدد الثالث- السنة التاسعة والخمسون.
(٢) الإمام المهدي، ص ١٦٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص٩٠.

أمة من الناس مدة طويلة في الماضي السحيق، مثال آدم، الذي عاش في معتقد اليهود ٩٣٠ سنة، جاء في التوراة ما هذا نصه: «فكان كل أيام آدم التي عاشها تسعمائة سنة وثلاثين سنة ومات»[١].

وشيث الذي عاش على ما في التوراة (٩١٢ عاماً) حسبما جاء في النص: «فكانت كل أيام شيث تسعمائة واثني عشرة سنة ومات...»[٢].

وأما نوح فقد عاش عندهم ٩٥٠ سنة، جاء في التوراة: «فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات...»[٣].

أما المسلمون فإنهم يعتقدون بحياة عيسى وخضر والإلياس.

وإن سرد هذه الحقائق تكفينا عن ذكر أسماء المعمرين بعدما ثبت أن طول العمر ممكن عقلاً وواقع فعلاً.

هل الإمام المهدي حي؟

لقد سبق القول إن المذاهب الإسلامية تتفق تقريباً على قضية المصلح القائم بأمر الله آخر الدهر، وأنه ينتمي إلى رسول الله ﷺ، وأنه ابن فاطمة. وقد طفحت كتبهم بأحاديث بلغت التواتر في إثبات ذلك. كما أنه قد ألّف كثيرٌ منهم كتباً تبحث عن الموضوع بصورة مسهبة. نعم لا ننكر أن عدة منهم كثيرة شذت عنهم وقالت: حيث كانت الأحاديث تحتوي على بعض الغرائب فإنها لم تقبل التصديق. ولكن الأحاديث التي تتضمن قضية المهدي ليست أكثر غرابة مما

(١) سفر التكوين - الإصحاح الخامس - الآية: ٥.
(٢) سفر التكوين - الإصحاح التاسع - الآية: ٨.
(٣) سفر التكوين - الإصحاح التاسع - الآية: ٢٩.

تضمنت أخبار الأمم السابقة، والمعاجز التي رافقت حياتهم، والآيات التي ظهرت على أيديهم.

وهناك نقطة اختلفت المذاهب الإسلامية فيها ولابد من مناقشتها في هذا المجال، وهي:

هل إن الإمام المهدي عجل الله فرجه حيّ فعلاً أم أنه سيولد بعدئذ؟

قبل أن نذهب بعيداً في البحث يجب أن نذكر: أنه لم يمتنع أي المذاهب الإسلامية عن الاعتراف بوجود الإمام المهدي عجل الله فرجه، وتأويل النصوص التي وردت بشأن ذلك إلّا بسبب واحد هو: استغراب وجوده حيًّا منذ سنة ٢٥٥هـ، وقد سبقت مناقشة ذلك في ضوء التجارب الحديثة والمعتقدات الدينية، فلم يبق هناك ما يدعوهم إلى الإنكار، إلّا أنهم قد يقولون: ما هو الدليل القاطع على ذلك؟

الجواب:

إن هناك أدلة كثيرة على حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه وفيما يلي بيان بعضها:

أ- قاربت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الواردة بشأن الأئمة الاثني عشر حد التواتر، وأجمعت الأمة على صحتها وثقة رواتها، ونذكر فيما يلي بعضاً منها:

١- عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**يَكُونُ مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ...**». فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: قَالَ: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش**»[1].

(١) صحيح البخاري، الجزء الرابع، كتاب الأحكام، ص ١٧٥، طبعة مصر ١٣٥٥هـ.

٢- قال رسول الله ﷺ: «**يَكُونُ مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ أُمَرَاءُ...**». ثُمَّ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ الَّذِي يَلِينِي فَقَالَ: قَالَ: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[١].

٣- قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُول: «**إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً..**».

قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: قَالَ: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»[٢].

٤- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزاً مَنِيعاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَة** -فَكَبَّرَ النَّاسُ وَضَجُّوا-...».

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: قَالَك «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش**»[٣].

٥- قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**يَكُوْنُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ اثْنَا عَشَرَ خَلِيْفَةً**»[٤].

فإذا أضفنا الحديث الصحيح لدى الفريقين والصريح على أنهم من

(١) صحيح الترمذي، الجزء الثاني، باب ما جاء في الخلفاء، ص ٤٥، طبعة نيودلهي ١٣٤٢هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ص ١٩١، ج ٢، ق ١، طبعة مصر ١٣٤٨هـ.

(٣) صحيح أبي داود، ج ٢، كتاب المهدي، ص ٢٠٧، طبعة مصر المطبعة التازية.

(٤) مسند أحمد، وقد أخرج مع هذا الحديث رواية أخرى عن جابر من أربعة وثلاثين طريقاً.

قريش مع تلك الأخبار التي بيَّنت مكارم أهل البيت عليهم السلام، وأنهم كالنجوم يحفظون أهل الأرض ويهدونهم، ثم إذا أضفنا إليها جميعاً تلك الأحاديث التي تُبَيِّنُ أنه سوف ينتهي من بعدهم الأمر، وأنهم سوف يكونون في الأرض ما بقي فيها اثنان؛ عرفنا أن المهدي يلزم أن يكون منهم، ويكون مهديهم آخرهم. أضف إلى ذلك الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول: «إن آخر هؤلاء الاثني عشر يكون قائم الأمة ومهديها».

إذا كان ذلك؛ عرفنا أن الإمام موجود فعلاً لأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام. وقد كان حادي عشرهم هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولم يُخلِّف باجماع المؤرخين إلَّا ولداً واحداً، كما في الأخبار، هو الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ فلابد أن يكون حيًّا.

ب- لقد سبق أنه لابد أن تكون الحجة دائمة للخلق كصلة تربطهم بربهم، فإذا ثبت ذلك ثبتت حياة الإمام ووجوده فعلاً داعياً للخلق، ولا يستلزم غيابه عدم فائدة إذ إنه بطبيعة صلته الغيبية بالله القادر العليم يستطيع أن يحقق ما يراه صالحاً بطريقة غير مباشرة، وإذا كان الله قادراً على إعطاء الملائكة المقربين قوى قاهرة، وتخويلهم بعد ذلك صلاحيات كبيرة فإنه سيكون قادراً على إعطاء مثل ذلك للنبي أو وصي النبي كالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وإذا كانت سنة الله قد جرت في الخلق أن يجعل لكل شيء سبباً، وأبتْ أن تجري الأمور إلَّا بأسبابها؛ فما المانع عن قبول فكرة جعل بشر صالح مطيع لله سبباً لطائفة من الأمور ولو بصورة غيبية؟ كما نقول في الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

ومن هنا نعرف أن الإيمان بالإمام الغائب عجل الله فرجه الشريف جزء رئيس من

الإيمان بالغيب ككل، وأنه لا يستطيع أحد أن يُبعّض ايمانه فيسلم بالغيب ويستنكر تأييد الإمام الحجة عجل الله فرجه بالغيب، أو يؤمن بتأييد الملائكة للرسول ثم يكفر بإمكانية تأييد الإمام الغائب للصالحين.

ومن جهة أخرى هناك جوانب أخرى للإمام نذكر منها ما يلي:

المهدي الحجة الشاهد:

إن الإمام الحجة عجل الله فرجه شاهد بإذن الله على الناس، ومعرفة المؤمنين بهذه الحقيقة تجعلهم يسارعون في الخيرات، ويجتهدون للاقتداء بسيدهم وجعل حياتهم نسخة من حياة سيدهم وولي أمرهم.

وبما أن الحجة عليه السلام إمام حي، وأن القيادة الحقيقية له، وأنه ينوبه في ذلك من يكون أقرب إليه وأحسن اقتداء بهديه، فإنه يصبح كالميزان في انتخاب القيادة، بل وفي فرز الخط الإلهي الذي ينتمي إليه الصالحون عن الخطوط المتفرقة التي لا تستقيم على هذا الإيمان.

الإمام الحجة في كتب الإديان:

بالرغم من تطاول يد التحريف على الكتب السماوية الموجودة حاليًا فإنه يوجد فيها بعض الحقائق إن لم تكن لتفيد لإثبات الواقع بذاتها، فإنها تفيد للاحتجاج على من يعتقد بها، وفيما يلي نذكر نصوصاً من كتب الأديان عن الإمام المهدي عجل الله فرجه.

١- «الصديقون يرثون الأرض إلى الأبد»[1].

كما قد تضمّن أيضاً تفاصيل كثيرة عن الأوضاع في آخر الزمان

(١) المزمور السابع والثلاثون، كتاب المزامير.

مما يؤيد ما في أحاديث المسلمين، ثم يقول: «أما الأشرار فيبادون جميعاً -عقب الأشرار ينقطع-».

٢- «ويل للأمة الخاطئة -الشعب الثقيل الآثم- نسل فاعلي الشر أولاد المفسدين تركوا الرب..».

«.. أرضكم تأكلها غرباً قدامكم وهي خربة كانقلاب الغرباء، وبعد ذلك تدعين مدينة العدل، القرية الأمينة»[١].

٣- «فيرفع راية الأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون ليس فيهم رازح ولا عاثر»[٢].

٤- «إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن، والبيوت، بلا إنسان، وتخرب الأرض وتقفر ويبعد الرب الإنسان، ويكثر الخراب في وسط الأرض، وأن يبقى فيها عشر بعد، فيعود ويصير للخراب، ولكن كالبطمة والبلوطة التي -وإن قطعت- فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً»[٣].

٥- «يقيم إله السماء مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كلّ هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد».

ثم يقول: «.. طوبى لمن انتظر»[٤].

٥- «قال رب الجنود: هي مرة بعد قليل أزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم، ويأتي بعدها كل الأمم

(١) كتاب أشعيا، الاصحاح الأول.
(٢) الإصحاح الخامس.
(٣) الإصحاح السادس، من كتاب أشعيا.
(٤) كتاب حجار، الإصحاح الثاني.

تملأ هذا البيت»[1].

٦- «ويكون في كل الأرض يقول الرب: إن ثلثين يقطعان ويموتان، والثلث يبقى فيها، وأدخل الثلث في النار، وأمحصهم كمحص الفضة، وأمتحنهم امتحان الذهب، هو يدعو باسمي وأنا أجيبه أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي»[2][3].

٧- «إن يسوع -هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء- سيأتي إليكم كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء»[4][5].

٨- «وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً»[6].

٩- «لأنه بعد قليل جدًّا سيأتي الآتي ولا يبطئ»[7].

١٠- «ثبت للقضاء على كرسيه وهو يقتضي للمسكونة بالعدل ليالي الشعوب بالإستقامة»[8].

ثم يقول: «وانما الذي عندكم تمسكوا به إلى ان يأتي من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية، فسأعطيه سلطاناً على الأمم فيرعاها بقضيب

---

(١) كتاب حجار، الإصحاح الثاني.
(٢) كتاب زكريا، الإصحاح الثالث عشر.
(٣) لقد جاء في كثير من أحاديث آل البيت عليهم السلام أن ثلثي أهل الأرض يموتون ويبقى الثلث الآخر فيمحص تمحيصاً.
(٤) كتاب أعمال الرسل، العهد الجديد، الإصحاح الأول.
(٥) لقد استفاضت أخبارنا الدينية برجوع عيسى عليه السلام معه تماماً كما يذكره هذا الكتاب.
(٦) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر.
(٧) الإصحاح العاشر من الرسالة التي كانت إلى العبرانيين.
(٨) المزمور التاسع من مزامير داود.

من حديد، كما تكسر آنية من خزف، وأعطيه كوكب الصبح من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس».

١١ - «أما ذلك اليوم، وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد»[١].

ولا أعلق على هذه المقتطفات من كتب العهدين لأنها تطابق بشيء من الاختلاف ما جاء في الأحاديث الصحيحة من علامات الظهور وسمات دولة الحق.

وأما المجوس فإنهم أيضاً يعتقدون برجوع إنسان باسم (بهرام) الذي لا يختلف معناه عن المهدي شيئاً.

والبراهمة أيضاً يعتقدون بظهور (كرشنا) على ما يدعون. إلّا أن هناك أدلة كثيرة على بعث أنبياء وصلحاء مع الإمام المهدي عجل الله فرجه ليروا الحق ظاهراً على الأرض كلها. ولعل بهرام وكرشنا كانا صالحين ممن لا نعرف اسمهم.

إن ظهور الإمام يعتبر عند الأئمة الطاهرين عليهم السلام القيامة الصغرى، حيث يُبعث من كل أمة شهيداً.

(١) إنجيل متّى، الإصحاح الرابع والعشرون.

الفصل الثالث

علامات الظهور

في هذا الفصل نتحدّث عن بعضٍ من العلامات التي سوف تتحقق قبل ظهور الإمام. وقد سبق في الفصل السابق الحديث عن بعضها من شمول الفساد والظلم جميع أرجاء الأرض، وإشاعة الفحشاء والبغي فيها، وتغيرات سماوية وقحط شديد، وحروب ضارية تلتهم ثلثي أهل الأرض، وظهور ما يُدعى (الدجال) يدعو إلى الباطل ويتهافت الخلق إليه، وأخيراً ادّعاء البعض أنه المصلح الأكبر، ثم فشله في تحقيق ما يدّعيه. ونعتمد في هذه العلامات على النصوص المأثورة الصادرة عن مهابط الوحي.

١ - عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا هَرْجاً وَمَرْجاً، وَتَظَاهَرَتِ الْفِتَنُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَا كَبِيرٌ يَرْحَمُ صَغِيراً، وَلَا صَغِيرٌ يُوَقِّرُ كَبِيراً، فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ مَهْدِيَّنَا التَّاسِعَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَفْتَحُ حُصُونَ الضَّلَالَةِ وَقُلُوباً غُفْلَاءَ، يَقُومُ بِالدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمْتُ بِهِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً**»[1].

٢ - قال أيضاً -ضمن حديث طويل- حدّثه عليّاً عليه السلام: «ثم

(١) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣٠٧.

نُودِيَ بِنِدَاءٍ يَسْمَعُهُ مِنَ الْبُعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْقُرْبِ، يَكُونُ رَحْمَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَعَذَاباً عَلَى الْمُنَافِقِينَ، قُلْتُ: وَمَا ذَلِكَ النِّدَاءُ؟ قَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةُ أَصْوَاتٍ فِي رَجَبٍ أَوَّلُهَا: أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَالثَّانِي: أَزِفَتِ الْآزِفَةُ، وَالثَّالِثُ يَرَوْنَ بَدَناً بَارِزاً مَعَ قَرْنِ الشَّمْسِ يُنَادِي: الآنَ اللهَ قَدْ بَعَثَ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ[1]، حَتَّى يَنْسِبَهُ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام، فِيهِ هَلَاكُ الظَّالِمِينَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْتِي الْفَرَجُ، وَيَشْفِي اللهُ صُدُورَهُمْ، وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَكَمْ يَكُونُ بَعْدِي مِنَ الْأَئِمَّةِ؟ قَالَ: بَعْدَ الْحُسَيْنِ تِسْعَةٌ التَّاسِعُ قَائِمُهُم»[2].

٣- وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ: «فَقُلْتُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ؟

فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا رُفِعَ الْعِلْمُ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، وَكَثُرَ الْقُرَّاءُ، وَقَلَّ الْعَمَلُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ، وَقَلَّ الْفُقَهَاءُ الْهَادُونَ، وَكَثُرَ فُقَهَاءُ الضَّلَالَةِ وَالْخَوَنَةِ، وَكَثُرَ الشُّعَرَاءُ، وَاتَّخَذَ أُمَّتُكَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ[3]، وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ، وَزُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ، وَكَثُرَ الْجَوْرُ وَالْفَسَادُ، وَظَهَرَ الْمُنْكَرُ، وَأَمَرَ أُمَّتُكَ بِهِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَصَارَ الْأُمَرَاءُ كَفَرَةً وَأَوْلِيَاؤُهُمْ فَجَرَةً وَأَعْوَانُهُمْ ظَلَمَةً

(١) أي الإمام المنتظر ﷺ منتسباً إلى آبائه المعصومين عليهم السلام.

(٢) كفاية الأثر، علي بن محمد الخزاز القمي، دار بيدار للنشر - قم، ١٤٠١ هـ. ق.، ص١٥٦.

(٣) كناية عن عبادة الأشخاص شركاً بالله، وليس من ذلك التقرب إلى الله بقبور الصالحين التي جرت عليه سنة الإسلام والمسلمين منذ أول يوم، ويعني الحديث بحلية المصاحف وزخرفة المساجد: اكتفاء المسلمين في ذلك اليوم بالمظاهر دون العمل بالحقائق.

وَذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ فَسَقَةٌ، وَعِنْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَخَرَابُ الْبَصْرَةِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يَتْبَعُهُ الزُّنُوجُ، وَخُرُوجُ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَظُهُورُ الدَّجَّالِ، يَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ سِجِسْتَانَ، وَظُهُورُ السُّفْيَانِيِّ»[1].

٤- وقال عليه السلام في حديث: «احْفَظْ.. فَإِنَّ عَلَامَةَ ذَلِكَ -أي ظهور الإمام عليه السلام- إِذَا أَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَأَخَذُوا الرِّشَا، وَشَيَّدُوا الْبُنْيَانَ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا، وَاسْتَعْمَلُوا السُّفَهَاءَ، وَشَاوَرُوا النِّسَاءَ، وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالدِّمَاءِ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضَعْفاً، وَالظُّلْمُ فَخْراً، وَكَانَتِ الْأُمَرَاءُ فَجَرَةً وَالْوُزَرَاءُ ظَلَمَةً وَالْعُرَفَاءُ خَوَنَةً وَالْقُرَّاءُ فَسَقَةً، وَظَهَرَتْ شَهَادَاتُ الزُّورِ، وَاسْتَعْلَنَ الْفُجُورُ وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ وَالْإِثْمُ وَالطُّغْيَانُ، وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ، وَزُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ، وَطُوِّلَتِ الْمَنَارُ، وَأُكْرِمَ الْأَشْرَارُ، وَازْدَحَمَتِ الصُّفُوفُ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ، وَنُقِضَتِ الْعُقُودُ، وَاقْتَرَبَ الْمَوْعُودُ، وَشَارَكَ النِّسَاءُ أَزْوَاجَهُنَّ فِي التِّجَارَةِ حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا، وَعَلَتْ أَصْوَاتُ الْفُسَّاقِ وَاسْتُمِعَ مِنْهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَاتُّقِيَ الْفَاجِرُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَصُدِّقَ الْكَاذِبُ، وَاؤْتُمِنَ الْخَائِنُ، وَاتُّخِذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَرَكِبَ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخَرُ قَضَاءً لِذِمَامٍ بِغَيْرِ حَقٍّ عَرَفَهُ وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَآثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ وَأَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ

(١) بحار الأنوار، ج٥١، ٧٠.

الْوَحَا الْوَحَا الْعَجَلَ الْعَجَلَ، خَيْرُ الْمَسَاكِنِ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ أَنَّهُ مِنْ سُكَّانِه»[1].

٥- وقال عليه السلام: «إِنَّ لِخُرُوجِهِ عَلَامَاتٍ عَشَرَةً: أَوَّلُهَا طُلُوعُ الْكَوْكَبِ ذِي الذَّنَبِ وَيُقَارِبُ مِنَ الْحَادِي وَيَقَعُ فِيهِ هَرْجٌ وَمَرْجٌ وَشَغْبٌ، وَتِلْكَ عَلَامَاتُ الْخِصْبِ، وَمِنَ الْعَلَامَةِ إِلَى الْعَلَامَةِ عَجَبٌ، فَإِذَا انْقَضَتِ الْعَلَامَاتُ الْعَشَرَةُ إِذْ ذَاكَ يَظْهَرُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ...»[2].

٦- قال الإمام الصادق عليه السلام: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ بِاسْمِ الْقَائِمِ عليه السلام فَيَسْمَعُ مَنْ بِالْمَشْرِقِ وَمَنْ بِالْمَغْرِبِ، لَا يَبْقَى رَاقِدٌ إِلَّا اسْتَيْقَظَ، وَلَا قَائِمٌ إِلَّا قَعَدَ، وَلَا قَاعِدٌ إِلَّا قَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَزَعاً مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ. فَرَحِمَ اللهُ مَنِ اعْتَبَرَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ فَأَجَابَ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْأَوَّلَ هُوَ صَوْتُ جَبْرَئِيلَ الرُّوحِ الْأَمِين»[3].

٧- وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، يَا سَلْمَانُ! إِنَّ عِنْدَهَا يُؤْتَى بِشَيْءٍ مِنَ الْمَشْرِقِ وَشَيْءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ يُلْوَنُ أُمَّتِي، فَالْوَيْلُ لِضُعَفَاءِ أُمَّتِي مِنْهُمْ وَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنَ اللهِ، لَا يَرْحَمُونَ صَغِيراً وَلَا يُوَقِّرُونَ كَبِيراً وَلَا يَتَجَاوَزُونَ عَنْ مُسِيءٍ، أَخْبَارُهُمْ خَنَاءٌ، جُثَّتُهُمْ جُثَّةُ الْآدَمِيِّينَ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِين..».

ثم قال: «.. فَلَمْ يَلْبَثُوا هُنَاكَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تُخُورُ الْأَرْضُ خَوْرَةً حَتَّى يَظُنَّ كُلُّ قَوْمٍ أَنَّهَا خَارَتْ فِي نَاحِيَتِهِمْ، فَيَمْكُثُونَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَمْكُثُونَ فِي مَكْثِهِمْ، فَتُلْقِي لَهُمُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، قَالَ: ذَهَباً وَفِضَّةً،

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ١٩٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ٢٦٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٣٠.

ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَسَاطِينِ، قَالَ: فَمِثْلُ هَذَا، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ ذَهَبٌ وَلَا فِضَّةٌ، ثُمَّ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فهذا معنى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[1]»[2].

٨- عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: «لَا يَقُومُ الْقَائِمُ عليه السلام إِلَّا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَزَلَازِلَ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ يُصِيبُ النَّاسَ، وَطَاعُونٍ قَبْلَ ذَلِكَ، وَسَيْفٍ قَاطِعٍ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَاخْتِلَافٍ شَدِيدٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَشَتُّتٍ فِي دِينِهِمْ، وَتَغَيُّرٍ مِنْ حَالِهِمْ حَتَّى يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّي الْمَوْتَ صَبَاحاً وَمَسَاءً مِنْ عِظَمِ مَا يَرَى مِنْ كَلَبِ النَّاسِ وَأَكْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَخُرُوجُهُ إِذَا خَرَجَ عِنْدَ الْإِيَاسِ وَالْقُنُوطِ، فَيَا طُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَهُ وَكَانَ مِنْ أَنْصَارِهِ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ خَالَفَهُ وَخَالَفَ أَمْرَه»[3].

٩- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «خَمْسٌ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عليه السلام: الْيَمَانِيُّ، وَالسُّفْيَانِيُّ، وَالْمُنَادِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ، وَخَسْفٌ بِالْبَيْدَاءِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ إِلَّا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً»[4].

وقال في حديث آخر: «تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عليه السلام»[5].

هذا وهناك علامات أخرى كثيرة نكتفي عنها بما سبقت من المشابهة بينها وبين ما قلنا.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٨.
(٢) منتخب الأثر، ص ٤٣٤.
(٣) منتخب الأثر، ص ٤٣٤.
(٤) منتخب الأثر، ص ٣٤٩.
(٥) منتخب الأثر، ص ٤٤١.

وعنه عليه السلام أنه قال: «سَتَخْلُو كُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيأزر [يَأْرِزُ] عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تأزر [تَأْرِزُ] الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا قُمٌّ وَتَصِيرُ مَعْدِناً لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ حَتَّى الْمُخَدَّرَاتُ فِي الْحِجَالِ وَذَلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا، فَيَجْعَلُ اللهُ قُمَّ وَأَهْلَهُ قَائِمِينَ مَقَامَ الْحُجَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَاخَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ حُجَّةٌ، فَيُفِيضُ الْعِلْمُ مِنْهُ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَيَتِمُّ حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْخَلْقِ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهِ الدِّينُ وَالْعِلْمُ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْقَائِمُ عليه السلام وَيَسِيرُ سَبَباً لِنِقْمَةِ اللهِ وَسَخَطِهِ عَلَى الْعِبَادِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِهِمْ حُجَّةَ»[1].

(١) منتخب الأثر عن البحار، ص ٤٤٣.

الفصل الرابع

مِنْ رَوائِعِ الإمامِ

١- أنت كنفي:

«.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقًّا حَقًّا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِيمَاناً وَصِدْقاً لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَعَبُّداً وَرِقّاً.

اللَّهُمَّ مُعِزَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَحِيدٍ، وَمُذِلَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، أَنْتَ كَنَفِي حِينَ تُعْيِينِي الْمَذَاهِبُ، وَتَضِيقُ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ.

اللَّهُمَّ خَلَقْتَنِي وَكُنْتَ غَنِيًّا عَنْ خَلْقِي، وَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ. يَا مُنْشِرَ الرَّحْمَةِ مِنْ مَوَاضِعِهَا، وَمُخْرِجَ الْبَرَكَاتِ مِنْ مَعَادِنِهَا. وَيَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِشُمُوخِ الرِّفْعَةِ، وَأَوْلِيَاؤُهُ بِعِزِّهِ يَتَعَزَّزُونَ. يَا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلَى أَعْنَاقِهَا فَهُمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ خَائِفُونَ؛ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَطَرْتَ بِهِ خَلْقَكَ فَكُلٌّ لَهُ مُذْعِنُونَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُنْجِزَ لِي أَمْرِي، وَتُعَجِّلَ لِي فِي الْفَرَجِ، وَتَكْفِيَنِي وَتُعَافِيَنِي وَتَقْضِيَ حَوَائِجِي السَّاعَةَ السَّاعَةَ، اللَّيْلَةَ اللَّيْلَةَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

(١) الإمام المهدي، ص ٢٣٦، ومن دعائه عليه السلام للحاجة.

٢- المحمدة لك:

«اللَّهُمَّ إِنْ أَطَعْتُكَ فَالْمَحْمَدَةُ لَكَ، وَإِنْ عَصَيْتُكَ فَالْحُجَّةُ لَكَ، مِنْكَ الرَّوْحُ وَمِنْكَ الْفَرَجُ. سُبْحَانَ مَنْ أَنْعَمَ وَشَكَرَ، سُبْحَانَ مَنْ قَدَرَ وَغَفَرَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ قَدْ عَصَيْتُكَ فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِكَ، لَمْ أَتَّخِذْ لَكَ وَلَداً، وَلَمْ أَدْعُ لَكَ شَرِيكاً، مَنًّا مِنْكَ بِهِ عَلَيَّ لَا مَنًّا مِنِّي بِهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَصَيْتُكَ يَا إِلَهِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمُكَابَرَةِ، وَلَا الْخُرُوجِ عَنْ عُبُودِيَّتِكَ، وَلَا الْجُحُودِ لِرُبُوبِيَّتِكَ؛ وَلَكِنْ أَطَعْتُ هَوَايَ وَأَزَلَّنِي الشَّيْطَانُ فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَالْبَيَانُ»[1].

٣- عظم البلاء:

«اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ، وَبَرِحَ الْخَفَاءُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ، وَضَاقَتِ الْأَرْضُ، وَمَنَعَتِ السَّمَاءُ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى، وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ»[2].

٤- اللهم ارزقنا:

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ، وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدَى وَالاسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلَى عُلَمَائِنَا

(١) الإمام المهدي، ص ٢٤٠ - ٢٤٥.
(٢) الإمام المهدي، ص ٢٤٠ - ٢٤٥.

بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِيْنَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلَى الْمُسْتَمِعِيْنَ بِالاتِّبَاعِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَعَلَى مَرْضَى الْمُسْلِمِيْنَ بِالشِّفَاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى مَوْتَاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى مَشَايِخِنَا بِالوَقَارِ وَالسَّكِيْنَةِ، وَعَلَى الشَّبَابِ بِالإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلَى النِّسَاءِ بِالحَيَاءِ وَالعِفَّةِ، وَعَلَى الأَغْنِيَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ، وَعَلَى الفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالقَنَاعَةِ، وَعَلَى الغُزَاةِ بِالنَّصْرِ وَالغَلَبَةِ، وَعَلَى الأُسَرَاءِ بِالخَلَاصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى الأُمَرَاءِ بِالعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ بِالإِنْصَافِ وَحُسْنِ السِّيْرَةِ، وَبَارِكْ لِلْحُجَّاجِ وَالزُّوَّارِ فِيْ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ، وَاقْضِ مَا أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ»[1].

٥- شرطتَ عليهم الزهد:

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ؛ إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلَالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرَائِعَ إِلَيْكَ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، فَبَعْضٌ أَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضُهُمْ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ مَعَ مَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا وَسَأَلَكَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرَةِ فَأَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيماً وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءاً وَوَزِيراً، وَبَعْضٌ أَوْلَدْتَهُ مِنْ

(١) الإمام المهدي، ص٢٤٦، وفي البلد الأمين، ص٥٢١.

غَيْرِ أَبٍ وَآتَيْتَهُ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَكُلُّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةً وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهَاجاً، وَتَخَيَّرْتَ لَهُ أَوْصِيَاءَ، مُسْتَحْفِظاً بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ، إِقَامَةً لِدِينِكَ وَحُجَّةً عَلَى عِبَادِكَ، وَلِئَلَّا يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ وَيَغْلِبَ الْبَاطِلُ عَلَى أَهْلِهِ، وَلِئَلَّا يَقُولَ أَحَدٌ: لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا مُنْذِراً، وَأَقَمْتَ لَنَا عَلَماً هَادِياً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى»[1].

٦- المنتجب في الميثاق:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْتَجَبِ فِي الْمِيثَاقِ، الْمُصْطَفَى فِي الظِّلَالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، الْبَرِيءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجَاةِ، الْمُرْتَجَى لِلشَّفَاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دِينُ اللهِ. اللَّهُمَّ شَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَأَفْلِحْ حُجَّتَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَضِئْ نُورَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ الرَّفِيعَةَ [وَالْوَسِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ] وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ»[2].

٧- أفتتح الثناء بحمدك:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنِّكَ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكَالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

اللَّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعَائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ، فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي،

(١) تحفة الزائر في آداب زيارته عليه السلام.
(٢) تحفة الزائر في آداب زيارته عليه السلام.

وَأَجِبْ يَا رَحِيمُ دَعْوَتِي، وَأَقِلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتِي..

الْحَمْدُ للهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ مُسَخِّرِ الرِّيَاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، دَيَّانِ الدِّينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْدُ للهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، الْحَمْدُ للهِ عَلَى طُولِ أَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يُرِيدُ، الْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَبَاسِطِ الرِّزْقِ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعُدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّادِقِينَ، وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّلَمَةِ، مُدْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ، صَرِيخِ الْمُسْتَصْرِخِينَ، مَوْضِعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمَدِ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ مَا عَرَّفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَاهُ، وَمَا قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا، وَغَيْبَةَ إِمَامِنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهُرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا؛ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطَانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُنَاهَا، وَعَافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُنَاهَا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

(١) مفاتيح الجنان، ص ١٨١ - ١٨٢.

كلمة اخيرة:

منذ ألف ومائة وخمسين عاماً -أي منذ ولادته عليه السلام في عام (٢٥٥)- وحتى هذه اللحظة، يتقلب سيدنا المهدي عجل الله فرجه في الساجدين يسهر الليالي تهجداً لله، ويطوي الأيام عبادة وتسليماً لرب العالمين.

وينتظر ساعة النصر حين يأذن الله له بالفرج ويدعو الله كما يدعو المؤمنون ربهم بالفرج القريب، ويمارس -بالتالي- أفضل أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو انتظار الفرج.

يا له من وجه كريم عند الله. دعنا -إذاً- نقدمه بين يدي حاجاتنا ونتوسل به إلى ربنا كي يكشف هذه الغمة عن أمتنا المعذبة.

دعنا نذكره عند اشتداد الكرب، ونقسم على ربنا بعبده الصالح المُدَّخر لنصرة عباده المستضعفين لكي يكشف الله عنا العذاب.

دعنا ندعو الله وبجد أن يرينا طلعته البهيّة وأن يجعلنا من أنصاره وأعوانه. آمين رب العالمين.

المحتويات

تمهيد ٧
الفصل الأول: الأَصْلُ الكَرِيمُ ٩
الفصل الثَّاني: الإِمَامُ الحجةُ.. الأَمْلُ المُنْتَظَرُ ٢٣
الفصل الثالث: عَلَامَاتُ الظُّهُورِ ٤٥
الفصل الرابع: مِنْ رَوَائِعِ الإِمَامِ ٥٣